# القمل

قصة بقلم وليد رباح

موزونة كانت خطاه .. كتلة الشحم عند الكاحل كالخف طراوة .. « لا شيء كالحفاء » . الصوت والصمت يذوبان عبر شقوق الجدران المهترئة .. ودبيب القمل النابع من اجساد الكتل المرصوفة كحفيف جناحي طائر في قفص ضيق .

هوذا جاء .. ضيف من اعماق التاريخ .. ما اخبار الناس والارض ، والهواء ، والشمس ، هل ما زالت تبزغ عند الفجر من المشرق ؟

لكل سؤال كما يقولون جواب .. أنتم تلقون بحزم الاسئلة في وجهي .. اصمتوا .. تموتون هنا ونخبكم تشرب الامه .. الارض ما زالت هي الارض ..

خفوا للقائه « هنا تجري الامور بصورة معكوسة » . ارتاب قليلا .. ثم اتخذ مجلسه واتكأ على الجدار الرطب .. وخزته بروزات الاسمنت الناتئة .. طافت عيناه تجوسان الزنزانة .. هرشوا اجسادهم كمن يرقصون وهم جلوس .. حدقوا اليه ببلاهة « هنا يستوي الليل والنهار ، والصيف والشتاء » .

حزمة الضوء في اعلى السقف تتكسر عبر الحدقات الحمراء .. تهمي منزلقة على الجدران فتكشف الهوام المتسلقة الى الشقوق العليا .. وقرب النبع الضوئي تحوم في الافق فراشة .. لا يدري أحد كيف جاءت ..

« ولما كانت خامسة المرات هذه .. فاني لا اجد كبير فرق بين زنازين السجون العربية .. الوجوه المتعبة .. شعر الذقون الاشعث .. العظام الناتئة تزين ما فوق الخدين .. المنظر والصوت والتأثيرات الموسيقية واحدة ... » .

« المنظر : يغمر الضوء الوجوه التسعة .

الصوت : لا نامة منهم او حتى فحيح

التأثيرات الموسيقية : عصا تقرع أخمص القدمين

الموسيقى التصويرية : استغاثات وابتهال » .

لطمته دقات حذاء على بلاط المسرب « اولئك الذين يهرشون لا يلقون بالا » . وصل الى سمعه لهاث حاد عبر الجدار الفاصل بين الكتل الاخرى « قد تتلوى الآن امرأة ما على سرير ما .. يضاجعونها بالتناوب فيخترق اللهاث المفتعل رعشات اللذة » .

علا اللهاث فغدا فحيحا .. توقف أحدهم عن هرش جسمه ونظر الى الجدار الفاصل .. فقط قال .. مسكين .. ثم عاد يهرش مرة أخرى .. تحول انفحيح الى خوار .. ذابت أعمدة الاسمنت المتراصة تحت وقع نظراته .. تخيله يطلب جرعة ماء .. بعضا من فتات الخبز .. قليلا من حساء ساخن .. نهض مسرعا نحوه ، نظم الجدار وجهه فقاموا اليه يمسحون الخطوط المنسابة من اعلى الجبين الى اسفل النحر .

عادوا يهرشون .. لمع عقب سيجارة عبر كوة الباب الصغيرة .. لونت ابتسامة وليدة وجه القادم .. ثم اتسعت فوقع العقب الى الداخل .. انطلقوا وتكوموا فوق بعضهم كل يريد الحصول عليه ، وعندما نهضوا اكتشفوا انهم داسوا عليه .. غدت ابتسامة القادم ضحكا ممزوجا برعشة سخرية ، ثم تحولت الى قهقهة عالية ، وذاب صداها بين جدران المسرب بعد ان ابتعد ..

جاء آخر .. نظر عبر الكوة وأمسك سيجارة مدها الى الداخل .. قاموا فاسترجعها .. ضحك ببلاهة .. ابتعد قليلا .. جلسوا يهرشون . عاد فمد السيجارة ثانية .. لم يقم منهم أحد .. فركها براحته فتطاير التبغ الاحمر نحو الارض العارية ..

ـ بامكانكم استعمالها سعوطا .

نظروا اليه .. بصق أحدهم على الارض بقوة .. داسها بكاحله فتلون البلاط بخطوط دائرية دموية .

بدأ قطار الليل زحفه .. آية ذلك ان يهاجم القمل دون هوادة .. التفوا حوله .. خلعوا ملابسهم قطعة اثر اخرى .. كوموا الثياب أمامهم وبدأوا حفلة بدت منذ البدء غريبة .. رفع اليهم رأسه .. حاول ان يسأل ، قاطعه أحدهم بتؤدة .. انها الطريقة الوحيدة للتخفيف من عدد القمل المختفي بين طيات الملابس .

راقبهم بهدوء .. لم ينبس .

ـ اولى لياليك هنا خالية من كل ما يأكل جلدك .. اما الثانية

فالله الساتر ..

ـ لا بأس في الثانية اذا ما كان قمل المخيم اكثر عددا من قمل الزنزانة .

ـ اما ما يليهما فانك اذا ما غاب القمل تفتقده .

انهمكوا في العمل .. راقب أحدهم وهو يشفط الهواء تشفيا عند مقتل كل قملة .. ابتسم قليلا .. ثم وقف واجال انظرف فيهم ..

نظروا اليه ببلاهة .. بدأ ينزع ملابسه .. كومها أمامه .. صفقوا له طويلا ..

ـ داهمه منذ الليلة الاولى .

ـ لا أعتقد .. اذا كان العمل جماعيا فلماذا لا أشارك ؟

ـ اذن لنقتل هذا الوقت .. ماذا عندك ؟

ـ لا افهم شيئا .

ـ حكايات « الشاطر حسن » .. « جبينه » .. ما كانت جدتك تسليك به قرب السرير عندما كنت طفلا .

تسللت الكلمات من فمه بروية .. ران السكون واختفت هيمنة الكتل الاخرى .. خرق الصمت المتوتر صوت جرس مكتب المحقق .. رموا أبصارهم نحو الباب الحديدي .. شدت آذانهم نحو المسرب الضيق .. دقت خطوات رتيبة أرض المسرب .. اقتربت حتى غدت قرب الباب .. دار المفتاح داخل القفل النحاسي الكبير .. صر الباب صريرا مزعجا .. وقف جندي مفتول الشارب يلوح بعصاه .. ضحك قليلا ثم زوى ما بين حاجبيه .

ـ حفلة الليلة دسمة .. سنرى كيف يلتصق اللحم بالعصا .

حدق في الوجه الجديد .. تفرس ملامحه .. اقترب منه واخذ يتحسس جسمه كخروف يساق الى المذبح .

ـ لا بأس .. ما تأكل يا هذا ؟

ـ آكل يا سيدي كما تأكل .

وخزته العصا بقوة .. ثم هوت ما بين الكتفين فطار غبار الشرر الاحمر من بين عينيه .. تلاحقت العصي تنهب جلده .. صرخ بملء فيه ..

احتمى عند زاوية الزنزانة .. دلف جندي آخر مسرعا وشارك فيما يجري .. رافقت العصا كلمات لم يفقه منها غير .. الادب .. والحديث .. والتأدب .. خر الى الارض العارية .. حاول أحد رفاقه ان يقترب منه .. لوح له بالعصا فابتعد ..

هرع جنديان آخران ووقفا ببـاب الزنزانة يرقبان .. ضحك أحدهما بصوت عال :

ـ لماذا لا نقضي ليلة حلوة ؟

نظر الجنود الى بعضهم ثم انفجروا ضاحكين .. أمر احدهم الجمع بأن يخرجوا واحدا اثر آخر .. عبر المسرب سمعوا جنديا يقول لآخر مر به .. انهم يمارسون لعبة العري حتى داخل الزنزانة ..

اصطفوا متلاصقين .. صدمت أعينهم بقع دماء ندية .. اخرمة من عصي ركنت الى زاوية الغرفة .. قطعة حبل غليظة كثعبان كريه يحاول ابتلاع عصفور صغير .. قضيب من حديد جفت عليه الدماء .

اقترب جندي قميء .. ربت على كتف « الضيف الجديد » ثم ابتسم .. اشار له ان ينظر الى الحائط .. ارتفعت عيناه الى مجموعة صور ملصقة على الجدار بعناية .. أصابه الغثيان فحول نظره .. قهقه الجندي طويلا ..

« لا تخف يا هذا .. تخيل انك في معرض يفتتح لاول مرة .. سأشرح لك رسومه .. انظر .. حدق جيدا .. هذه صورة احدهم ونحن نخلع له أضراسه « بالكماشة » .. طبعا كان هذا منذ زمن .. الآن تطورت أساليبنا .. اننا لا نخلعها الا بشاكوش صنع خصيصا لهذا الغرض ..

الاخرى .. حدق جيدا يا هذا .. لا تحول نظرك والا .. لا نكران في ان الاخرى جميلة لانها تمثلني وأنا أدعك عقب سيجارة في صرة أحدهم .. أتعلم ان رائحة اللحم المحروق لذيذة ؟

الثالثة وزميل ينتزع رجولة زميل آخر .. أتدري ما السبب ؟.. لقد سمح لنفسه بالبكاء ونحن نضرب أحدهم على أخمص قدميه .. اختر وضعا مناسبا .. اقترح هذه .. او تلك .

نظر فجأة الى قدميه .. ركع الجندي على ركبتيه وابتسم .. تحسس كاحله ..

انه يحمل خف جمل صغير .. تعالوا انظروا .

صفروا جميعا .. أشار أحدهم اليه بأن يستلقي على ظهره ويرفع رجليه الى أعلى .. أصابه الذهول فلم يدر ما يصنع .. هجموا عليه وألقوه أرضا .. ربط أحدهم رجليه الى بندقية أمسكها آخران من طرفيها .. راودت أحدهم فكرة :

ـ دعوه .. لنرى ما يمكن ان يصنعوا به .

ابتعدوا .. طلبوا الى رفاقه ان يبدأوا .. تسمرت أرجلهم دون حراك .. نهروهم ثانية .. حدقوا الى وجوه الجند باحتقار ..

. . . .

عندما عادوا .. كانت حزمة الاعواد قد تقصفت على ارض الغرفة قطعا متناثرة .

فلسطين — **وليد رباح**


قريبا

# الانهـــار

رواية جديدة للكاتب العراقي

**عبدالرحمن مجيد الربيعي**

وفيها يتابع مرحلة اخرى من تاريخ العراق السياسي التي بدأها بروايته « الوشم »

منشورات دار العودة ـ بيروت